فتوى اقتناء السكن الربوي

الحلقة 25

محنة أبي العباس بابا التنبكتي

وعبد السلام جسوس الفاسي

كتبنا في سلسلة " **ضعيف الصحيحين**"، في **الحلقة 31**، على موقعنا، تحت

عنوان: "كيف جمع "الثبات" و"الجريان" بين الشيخ ابن باز، وغاليليو غاليلي، والبابا أوربان الثامن

؟"

{ومن **المفارقات التاريخية**، أن يبدأ **الحوار العلمي الكنسي** على أسنة

الخوازيـــــق **ولـهيـــــب**

المحارق المتأججة بأجساد **المخالفين** للأطروحات التي تقول بها **الكنيسة** حيث سلكهم **القساوسة** في عداد **الهرطقيين** خارج **هرطقتهم البولصية** {نسبة إلى القديس بولص} **التاريخية**، التي مثلت عند المُحاقة **أكبر انقلابية دينية** حصلت في التاريخ البشري كله، حيث تغلب **التيار الهرطقي البولصي الوثني** المتفلسف على الخطاب المباشر والبسيط لـ**مواعظ الجبل** التي تلقفها **الحواريون** من في **المسيح** عليه السلام حيـة مُحْيِيّـة وصـافية رقراقـة زلالاً، ليكتـب النجـاح والاسـتمرارية التاريخيـة **للمتطفلـين**

الـهرطقيين الذين سيستحوذون حتى على اسم الدعوة ويحتكرون استعماله، في حين انقرض الحواريـــــون وكنيـــــستهم وطـــواهم التـــاريخ إلـــى أن بعثـــوا مجـــدداً فـــي الإسلام ، ستة قرون بعد ارتفاع صاحب الرسالة}.

فما علاقة هذه الفعلة الشنعاء بالمغاربة ؟

لنترك الوقائع على الأرض تحدثنا.

في النـهاية كان:

الـــرد المتـــشنج ل هيئـــة المجلـــس العلمـــي (الأفنـــدي) !!!

الأعلى !!!!!! المغربية، التي أصدرت بياناً سياسياً جاء فيه (تابع):

وقد توارثوا !!!!!! هذه الاختيارات وحافظوا عليها !!! وعضوا عليها بالنواجذ !!!

واقتفى اللاحق منهم أثر السابق فيها ، وعلى أساسها نشئوا صبيانهم وربوا أجيالهم ويسروا حفظها لعامة الناس منهم وتعاون أمراؤهم !!! وعلماؤهم !!! على هذا السنن القويم !!!!!

قلت:

الاقتفاء، فيه المحمود وفيه المذموم.

والمذموم منه، وهو شر بإطلاق، بنص القرآن: تقليد الآباء والأجداد بغير علم، بحسب ما ورد في الآية 170 من سورة البقرة:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ البقرة: ١٧٠

والتي يعضدها ما جاء في الآية 36 من سورة الإسراء:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فتعاون الأمراء {وجلهم، ممن جاءوا بعد الخلافة الراشدة، إنما كانوا من الملوك العاضين القاهرين للمسلمين، إلا فيما نذر}، قل حصوله في التاريخ، لعدة أسباب، نخص بالذكر منها حالقتين للدين:

أ) جرأة حكام الجور على محارم الله بأدنى سبب، إن رأوا في ذلك مصلحة عارضة، أو كان لهم فيها هوى.

ب) عدم وجود الرادع المؤسساتي للحؤول دون ذلك، ما دام ولي الأمر، وهو طاغوتي بحكم السلطات التي خولها لنفسها، ظل يستفرد لوحده بالسلطة المطلقة يتحكم في رقاب الناس بدون سند أو موجب شرعي.

ولنا في تاريخ الإسلام عامة، وتاريخ المغرب خاصة شواهد عدة يندى لها جبين كل حر، حال:

أ) موقف السلطان احمد المنصور الذهبي السعدي من الفقيه أحمد بابا السوداني.

قال الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري في كتاب "الاستقصا"[1] تحت عنوان: "نكبة الفقيه أبي العباس أحمد بابا السوداني وعشيرته"[2]:

كتب احمد المنصور إلى عامله محمود بالقبض عليهم (علماء تنبكتو بمالي الحالية) وتغريبهم إلى مراكش

[1] الاستقصا، المجلد الخامس، ص. 129، طبعة دار الكتاب، الدار البيضاء. وأورد القصة ذاتها محمد الصغير الأفراني"نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي" بتحقيق عبد اللطيف الشادلي ـ مطبعة النجاح الجديدة – طبعة سنة 1998، ص 171.

[2] كان بنوا آقيت النكروريون من أهل مدينة تنبكتو ومن لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان ديناً ودنيا، حيث تعددت فيهم العلماء والأئمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من 200 سنة وكانوا من أهل اليسار والسؤدد والذين لا بالون بالسلطان فمن دونه. ولما فتح جيش المنصور بلاد السودان ابقاهم الباشا محمود على حالهم إلى أن أتت سنة 1002 هـ

فقبض على جماعة كبيرة فيها الفقيه العلامة أبو العباس احمد آقيت المدعو:

"بابا"(ت: 1036 هـ) صاحب: "تكميل الديباج[3]" وغيره من التآليف وكان

فيها أيضا القاضي أبو حفص عمر بن محمود وغيرهما وحملوا مصفدين

في الحديد إلى مراكش ومعهم حريمهم وانتهبت ذخائرهم وكتبهم.....

ولما دخل الفقيه أبو العباس على المنصور، بعد تسريحه من السجن وجده

يكلم الناس من وراء حجاب !!! وبينه وبينهم كلة مسدولة،

على طريقة خلفاء بني العباس ومن يتشبه بهم، فقال الشيخ:

-إن الله تعالى يقول:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى: ٥١،

وأنت قد تشبهت برب الأرباب، فإن كانت لك حاجة في الكلام فانزل إلينا وارفع عنا الحجاب.

فنزل المنصور ورفعت الأستار، فقال له الشيخ:

---

[3] لأحمد بابا السوداني كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" وقد قصد فيه أن يذيل به على تراجم "الديباج المذهب في أعيان المذهب" لابن فرحون، وبدأ تأليفة وهو في تنبكتو، غير أن قلة المصادر ببلده وقفت حجر عثرة في طريقه، إلى أن حمل أسيراً إلى مراكش، فوجد المصادر التي تسعفه في إتمام مهمته. وهو يقول عن تذيله للديباج: "... فما زالت نفسي تحدثني منذ قديم الزمان، وفي برهة من الأوان، باستدراك بعض من فاته ومن جاء بعده من الأعيان، فقيدت فيه بحسب المنة والإمكان، وذلك حيث كنت ببلدنا البعيدة عن نيل المقصد من ذلك لبعدها من مدن العلم والأوطان، فقصر بي الحال مع قلة الكتب هناك وعدم مساعدة الزمان، حتى تفضل إلي من له الفضل، وأحسن إلي من له الطول سبحانه، بوصولي إلى منبع العلم في الديار الغربية، حضرة الإمامة العلية... فرأيت فيها أسباب السعادة متيسرة، وأزمة الأماني فيها مبذولة غير متعسرة، ونشدت الضالة فوجدتها أقرب إلي من ظلي، وظفرت بما يكمل مرادي ونلت أملي، فبادرت ـ حينئذ ـ إلى كتب ذلك الذيل، مستنيرا بالطول والنيل، وقلت لنفسي: يا سعد جدي، قد ظفرت بمقصدي..." وقد طبع في المطبعة الحجرية بفاس عام 1317 هـ/1899 م. (12)، أنه ألف ذيلا على "نيل الابتهاج". وقد ذيله محمد بن محمد بن إبراهيم العلمي الحسني الفاسي (ت: 1954/1373) بذيل حمل عنوان: "إيضاح السبيل لمن بالديباج والتكميل".

- أي حاجة لك في نهب متاعي وتضييع كتبي [4]وتصفيدي من

تنبكتو إلى هنا حتى سقطت عن ظهر الجمل واندقت ساقي ؟[5]

- فقال له المنصور: أردنا أن تجتمع الكلمة [6] وأنتم في بلادكم من أعيانها فإن أذعنتم أذعن غيركم
- فقال الشيخ أبو العباس: فهلا جمعت الكلمة بترك تلمسان فإنهم أقرب إليك منا
- فقال المنصور: قال رسول الله ﷺ :
- «اتركوا الترك ما تركوكم» فامتثلنا !

الحديث [7]

- فقال أبو العباس: ذاك زمان وبعده قال ابن عباس: "لا تتركوا الترك وإن تركوكم"

فسكت المنصور وانفض المجلس.

---

[4] روي عنه رحمه الله أنه قال: "أنا أقل عشيرتي كتبا، نهبت له ستة عشر مائة مجلد".

[5] وكان القبض عليهم في أواخر محرم عام اثنين وألف، ووصلوا لمراكش في رمضان من العام بعده، واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف إلى وقت انصراف المحنة عليهم. فسرحوا في يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان عام أربعة وألف.

[6] بينما لم يقدم على احتلال السودان سوى للفوز بذهبه.

[7] قلت: والخبر ضعيف رواه :النسائي في السنن الصغرى والسنن الكبرى، وأبو داود في سننه، والبيهقي في السنن الكبرى، والطبراني في المعجم الأوسط والمعجم الكبير ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، والعقيلي في الضعفاء الكبير، وأبو نعيم الأصبهاني في معجم الصحابة وفي أخبار أصبهان.

قلت:

لاحظ لجوء المنصور إلى خبر موضوع، زين له فيه فقهاؤه ولا شك، بينما لا قبل له، من وجهة النظر الموضوعية والواقعية، ب الأتراك العثمانيين، خصوصاً إذا ما علمنا بأن:

أ) نعمتهم عليه سابقة، لأنهم هم من ساعدوه هو وأخوه عبد الملك على استرجاع الملك من ابن عمهم.

ب) كانوا بالفعل يمثلون الخلافة الإسلامية من جهة القوة والمنعة والانتشار،

وانظر إلى قوة عارضة الشيخ رحمه الله، وفهمه، وجرأته، وكيف ألقم المنصور حجراً في كل رد، حتى أذعن الأخير لمنطق فقيه يستحق حمل لقبه، لأنه ببساطة لم ينشأ على الذل والهوان حال فقهاء بلاط المنصور!

وهل نعجب ألا يتم الله جل جلاله على المنصور، وأن يختم له ولدولته بسوء العاقبة، وذهاب ريحها في أقل من ستة عقود من بعده، وأن يسلط على دولته القحط، والجفاف، والمجاعة، والأوبئة، والأخذ بالسنين، وأن ينهد كل ما بنى المنصور وشيد بذهب السودان، الذي كان وبالاً على أهله، ومنها قصره المسمى بالبديع، الذي أراده أن يكون أعجوبة من عجائب الدنيا السبع، والذي كان قد جلب له الرخام من أوروبا وجمع له الصناع من كل حدب وصوب، وتبر الله كل ذلك تتبيرا، كأنهم لم يغنوا فيها بالأمس القريب.

فكان الجراد اكبر عون في أن يوطئ القدم لدولة العلويين من بعده، والله غالب على أمره.

ب) موقف المولى إسماعيل العلوي (هـ/1672 م –

هـ/1727 م) من العالم وشهيد الحق: أبي محمد عبد السلام بن حمدون جسوس.

شرع السلطان المولى إسماعيل في تمليك الحراطين الأحرار بمكناسة الزيتون

وأنزل عليها أكثر الفقهاء وامتنع الفقيه جسوس من النزول عليها فقام المولى إسماعيل بمصادرة واستفاء كتبه وأمواله وأموال جميع أبنائه ونسائه ظلما وعدواناً.

ولم يقف النزق بالمولى إسماعيل، المزاجي الطبع، عند هذا الحد من التنكيل بضحية لا حول لها ولا قوة، بل طاف به في الأسواق وهو مغلول مصفد، وأمر من ينادى عليه:

من يفدي هذا الأسير ؟

والناس ترمي عليه، تعاطفاً مع مأساته، بالدراهم والحلي وفير ذلك من النفائس لعدة أيام، فيذهب الزبانية الموكلون به بتلك الذخائر.

وداموا على هذه الفعلة الشنعاء قرابة السنة، مع تسليط السفهاء عليه يهجوئه ويتهكمون منه.

فلما أحس، لله ذره في الخافقين، بدنو أجله، وأنه لا محالة ملاق ربه وهو على هذه الحال كتب ورقة وأذاعها بين الناس يقول فيها رحمه الله:

الحمد لله، يشهد الواضع اسمه عقبه على نفسه ويشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه أني ما امتنعت من الموافقة على تمليك من ملك من العبيد إلا لأني لم أجد له وجها ولا مسلكاً ولا رخصة في الشرع، وإني إن وافقت عليه طوعاً أو كرها فقد خنت الله

ورسوله والشرع وحفت من الخلود في النار بسببه، وإني نظرت في أخبار الأئمة المتقدمين حين أكرهوا على ما لم يظهر لهم وجهه في الشرع فرأيتهم ما آثروا أموالهم ولا أبدانهم على دينهم خوفاً منهم على تغيير الشرع واغترار الخلق بهم، ومن ظن بي غير ذلك وافترى علي ما لم أقله، الموعد بيني وبينه وحسبنا الله ونعم الوكيل واسلام.

وكتب عبد السلام بن حمدون جسوس غفر الله له ذنبه وستر في الدارين عيبه صبيحة يوم الثلثاء، الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين ومائة وألف (1121 هـ).

وقد تم اغتياله رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، بعد ذلك بيومين خنقاً في سجنه في ليلة الخميس 25 من ربيع الثاني على يدي شقي ذلك الزمان و بصريه ، القائد أبي علي الروسي.

قلت:

قارن موقف هذا العالم الفذ، الصلب في دينه، الذي علل موقفه، برغم كل ما حل به من أصناف الذل والهوان والتعذيب، بكونه لم يجد وجها، أو مسوغا من الشرع، ليخون الأمانة التي أخذها الله على العلماء، ورثة الأنبياء، وموقف زاوية آل الفاسي الفهري، التي ينحدر منها الزعيم: علال الفاسي

التي سايرت خوفاً وطمعاً المولى إسماعيل في شططه، فقربها وأدناها منه وارتفعت بذلك أسهمها الرمزية عنده ما انحطت في ميزان الشرع، من دون وجود مسوغ من الشرع، من جهتين:

- **السكوت على منكر يمقته الله ورسول وسائر المؤمنين، بحسب ما ورد في الآية 8 من سورة المائدة:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨

- **عدم مساندة عالم في محنته، بحسب ما ورد في الآية 81 من سورة آل عمران:**

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ ،

والأثر المباشر لهذه السياسة الخرقاء والرعناء، المتجرئة على حدود الله، بزوغ شمس **آل الفاسي الفهري**، وتسلقهم لدنيا المنافع بتكأة الدين، حيث لا زال الحفدة **يسحبون بدون قيود من هذا الرصيد الرمزي** الذي لا ينضب معينه وإلى يوم الناس هذا، حتى بعد أن طلقوا الدين جملة، ولم يبق من بينهم ولا أحد يحمل شعلته أو يتدثر بلباسه، بل إن من بين أفراد العائلة من الحد وآثر مقولات ماركس على ما ظل ينتحل أجداده !!!، حال **عمر الفاسي الفهري** ، وزير البحث العلمي السابق، ليس لكونه، وكسائر أمثاله من جيله المغسولي الدماغ والممحوي الذاكرة، ممن تخرجوا من المدارس الفرنسية، ممن كانوا يفقهون في الماركسية النظرية، بل فقط من باب توزيع المخاطر، بالرهان على كل الأحزاب السياسية، التي متى صعد نجم أحدها وتمكن من السيطرة على الحكم، تمكن ابن العائلة البار من الشفاعة في باقي

القطيع، على ما اكتشف بذهول الباحث الاجتماعي الأمريكي **جون واتربوري** (John Waterbury) في كتابه المعلمة: **"أمير المؤمنن: النخبة السياسية المغربية، دراسة في الانقسامية السياسية"** (The Commander of the Faithful: The Moroccan Political Elite - a Study in Segmented Politics)، الذي نشره سنة 1970 م.

قلت:

وقد استفاد من هذه الشفاعة أقرباء ل **علال الفاسي**، و**أحمد بلافريج** وغيرهما، ممن كانوا قد صنفوا من طرف الوطنيين في عداد **الخونة** الذين تعاونوا مع الاستعمار، والذين يتوجب مصادرة أملاكهم بعد استقلال المغرب، بحسب النسخة الأولى لمرسوم مصادرة أملاك الخونة وحرمانهم من الحقوق الوطنية [8].

وقد شطب على اسم القريب ل **علال الفاسي** من **سجل الخونه**: **المهدي بن بركة** ، و**عبد الرحيم بوعبيد** ، وكلاهما عضوان في اللجنة التنفيذية ل **حزب الاستقلال**، جبراً لخاطر **علال الفاسي**، زعيم الحزب، الذي لم يسألهم ذلك، قبل أن يقلبا على الأخير الطاولة ويخرجان من الحزب، ليؤسسا مع غيرهما حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ذي الميول اليسارية ، على ما جرت به صرعة ذلك الزمان الردئ.

---

[8] تم إحداث لجنة للنظر في أمر المتعاونين مع الاستعمار وعملائه، بعد الإعلان عن الاستقلال سنة 1956، وترأسها الفقيه المختار السوسي من حزب الاستقلال، ولم تشمل اللائحة سوى 179 خائنا، علما بأن عدد الخونة الجذريين من قواد البوادي، وملاكي الأراضي، والموظفين، وأعيان المدن، وكبار التجار ممن ساهموا في مؤامرة إبعاد الملك محمد الخامس عن عرشه تجاوز الألفي شخص!

واغلبهم تم تشطيب أسمائهم من اللائحة بفعل تدخل عدة جهات، حال ما حصل مع) أخ عباس الفاسي ، رئيس الوزراء الحالي، الذي عمل قاضيا بكل من الناظور والقنيطرة، وأحمد جسوس، المسؤول عن بنك المغرب، الذي كانت تربطه قرابة عائلية مع أحمد بلا فريج، المؤسس الفعلي لحزب الاستقلال، وغيرهما هؤلاء. وستقتصر اللائحة النهائية على إدانة ونزع أملاك 69 متعاونا مع الاستعمار وتجريدهم من الحقوق المدنية لمدة 15 سنة، بينما لم يقدم ولا خائن واحد من كبار الخونة والمتعاملين مع الاستعمار للمحاكمة أو المساءلة.

وهذا غيض من فيض.

قلت:

ولم يتم الله على **المولى إسماعيل** فيما قصد وآمل وزين له فيه شيطانه، ما لم يتم على **المنصور السعدي**، حيث فك الله غزل ما شيد **المولى إسماعيل** كله، وجعل من جيش العبيد أداة فتنة وعدم استقرار للدولة، بدل الاستقرار الذي كان قد توخاه من تعبيدهم، حيث لم يتنبه إلى كون القبائل لها استقلالية مادية من خلال قيامها بالزراعة، بينما الجيش النظامي يحتاج إلى ميزانية لتمويله.

وعندما انفكت عرى الدولة، ولم ينتظم جمع الخراج، وقع الجيش البخاري في ضائقة، لا مخرج لهم منها سوى بالسطو على القبائل.

لذلك ظلوا ينصبون ويعزلون من أبناء المولى إسماعيل، ويضربون بعضهم ببعض، بحسب ما ظهر لهم فيهم من مآرب، لتدوم فتنتهم لثلاثة عقود، أتوا فيها على الأخضر واليابس، كان لم تغن عظمة المولى إسماعيل من قطمير بالأمس القريب.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

انتهى وتليه الحلقة 26